ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى

د. مفتاح يونس الرياصي❖

مقدمة:

كان من أبرز نتائج التغيرات المناخية التي طرأت على منطقة الصحراء الكبرى تغيــر التوزيــع السكاني في هذه المنطقة؛ فنقص الأمطار وحلول الجفاف التدريجي بهذه المنطقة دفع ســكانها إلــى البحث عن مصادر المياه، فاتجه بعضهم إلى الجنوب حيث استقروا في منطقة بحيرة تشاد، ولعل من أبرز القبائل التي استقرت في تلك المنطقة قبائل الزغاوه والطوارق والتيبو، وقد امتزجت هذه القبائل مع السكان المحليين ونجح هذا الخليط في تأسيس كيان سياسي وهو دولة الكانم – برنو التي ظهرت وفق أرجح الآراء خلال القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) في المنطقة المحيطة ببحيــرة تــشاد وتوسعت على حساب جيرانها في الشمال والجنوب.

كان من الطبيعي أن ترتبط هذه الدولة مع ممالك الشمال الأفريقي بعلاقات مميزة وذلــك بــدافع وجود بعض المعطيات التي جعلت وجود هذه العلاقة أمر حيوي بالنسبة لهذه الدولة انتشار الإسلام في هذه المملكة وما لهذا الانتشار من أثر في تقوية أواصر العلاقات السياسية بين الحكام إلى خلق علاقة بين الشعوب، كذلك من المعطيات التي حتمت وجود علاقة بين المنطقتين موقع دولة الكانم والبرنــو على الطرف الجنوب من الصحراء الكبرى، واعتبار هذا الموقع امتداداً طبيعياً لبلاد المغرب التــي مثلت المنفذ الحيوي الوحيد الذي يربط بلاد الكانم والبرنو بالعالم، كما أن دور العناصر المغربية في إقامة دولة الكانم والبرنو كان أحد المؤثرات التي جعلت العلاقات بين المنطقتــين تتجــاوز الإطــار السياسي لتصبح علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية.

من هذا المنطلق اخترنا في هذا البحث رصد أحد الجوانب المهمة في العلاقات التي ربطت هــذه المملكة ببلاد المغرب وهو جانب العلاقات الاقتصادية في إطار محاولة التأريخ لهذه المنطقة وتفنيــد

❖ جامعة 7 أكتوبر – كلية الآداب – بني وليد – ليبــيا.

الآراء التي تدّعي أن الصحراء الكبرى منطقة فاصلة بين عالمين مختلفين، حيث أثبتت العلاقات الاقتصادية أن الصحراء الكبرى كانت جسر التواصل مرت من دروبه القوافل التجارية والهجرات القبلية التي طبعت منطقة بحيرة تشاد بطابع إسلامي ونقلت الكثير من المؤثرات الحضارية من الشمال إلى الجنوب.

أ - ازدهار تجارة القوافل عبر الصحراء.

لقد لعب موقع منطقة بحيرة تشاد دوراً مهماً في جعلها صلة وصل بين الشمال والجنوب، فوقوعها على الطرف الجنوبي للصحراء جعلها منفذاً لا غنى عنه لمنتجات الشمال المتجهة نحو أواسط أفريقيا، كما جعلها من جهة أخرى منفذاً للبضائع الأفريقية المتجهة نحو الشمال، كما أن عدم وجود حدود ثابتة بين منطقة بحيرة تشاد ومنطقة فزان جعلها امتداداً لها، حيث يذكر البكري إن كانم امتدت وراء صحراء زويله[1]، كما يؤكد ابن حوقل هذا التداخل بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد حيث يقول عن بلاد السودان "وحداً له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب"[2]، فابن حوقل هنا لم يضع حدوداً ثابتة بين المنطقتين ويؤكد هذا البكري بقوله "إن كانم امتدت وراء صحراء زويلة"[3].

لقد أثر انتشار الإسلام في المنطقة تأثيراُ إيجابياً على النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها بحكم أن الإسلام "فتح أمامهم أبواب العالم الإسلامي، وباتصالهم بإخوانهم المسلمين كسبوا الكثير من المعارف منها فنون التجارة"[4] إلاّ أن العلاقة التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد سبقت وصول الإسلام إلى المنطقة بعدة قرون[5]، حيث حدثنا هيرودوت عن خمسة من الشباب انطلقوا من منطقة سرت واتجهوا جنوباً بهدف استكشاف مناطق وسط أفريقيا[6]، كما دلت رسوم العربات المنتشرة على الصخور والكهوف على طول طرق القوافل القديمة من فزان إلى منطقة بحيرة تشاد على عراقة الصلات التجارية بين المنطقتين، فقد كان هناك طريقان يربطان منطقة الشمال الأفريقي بوسط القارة يقع أحدهما في الغرب ويخرج من جنوب المنطقة التي بنيت فيها مراكش فيما بعد ويصل إلى منطقة النيجر الأعلى، ويخرج الآخر من فزان حتى يصل إلى الجانب الشرقي من انحناءة نهر النيجر[7].

استمرت العلاقات التجارية بين مناطق الساحل ومناطق وسط أفريقيا بعد قدوم الفينيقيين للمنطقة وبناء المدن الثلاث "لبدة – أويا – صبراته"[8] فعلى الرغم من أن الفينيقيين لم يتوغلوا في الداخل إلاّ أن هذه المدن أصبحت منافذ للتجارة الأفريقية التي كان السكان المحليون يجلبونها من أفريقيا عن طريق القوافل وأكبر دليل على ما نقول هو أن طرابلس كان يطلق عليها اسم بوابة الصحراء[9] وبعد قيام دولة قرطاجة في شمال أفريقيا وازدهرت تجارتها مع بلاد السودان[10]، وكان من أبرز البضائع التي جلبت

من تلك المنطقة العقيق والذهب والرقيق[11] وحتى سنة 500 ق.م كان تجار قرطاجه يفدون للتجارة مع سكان تيبستي الذين يعيشون في بلاد ممطرة كثيرة التماسيح والزواحف[12]، وهذه الصفات المناخية تنطبق إلى حد كبير على منطقة بحيرة تشاد فمن المعروف أن التماسيح لاتعيش إلاّ قرب البحيرات والأنهار مما يدل على وصول التجارة القرطاجيه إلى منطقة بحيرة تشاد.

أما الرومان الذين استولوا على شمال أفريقيا خلال القرن الثاني الميلادي فقد توغلوا في الداخل عن طريق حملة بالبوس التي سيطر فيها على بلاد الجرمانتيين، ثم تحسنت العلاقة بين الطرفين وقاما بحملة مشتركة بقيادة فلاكس منطلقة من جرمة حتى وصلت جبال تيبستي على الأرجح[13].

لقد ظهر عامل مهم أسهم في ازدهار التجارة بين الشمال والجنوب عبر الصحراء وهو دخول الجمل إلى مجال النقل التجاري في القرن الرابع الميلادي[14]، وقد تزامن دخول الجمل مع التغيرات المناخية التي بدأت تشهدها المنطقة والمتمثلة في نقص الأمطار تدريجياً[15]، واقتصار وجود الماء على الواحات المتناثرة في الصحراء مما جعل الضرورة ملحة إلى وجود وسيلة نقل تتحمل العطش لمسافات طويلة، وقد استمرت الحركة التجارية مزدهرة بعد دخول المسلمين إلى بلاد المغرب، حيث كان من نتائج وصول الإسلام إلى المنطقة انتشار الأمن مما أدى إلى ازدهار حركة القوافل بين شمال الصحراء وجنوبها، كما أصبحت هذه القوافل تحمل إلى جانب بضائعها ديناً جديداً سرعان ما انتشر في بلاد الكانم والبرنو واسهم في خلق رابط روحي بين سكان بلاد الكانم وبلاد المغرب، وانعكس هذا الرابط بالتأكيد بشكل إيجابي على العلاقات التجارية بين الطرفين[16].

ب - طرق القوافل بين دولة الكانم والدولة الحفصية.

لقد لعب الموقع الجغرافي دوراً كبيراً في تحديد مسارات القوافل التجارية عبر الصحراء حيث ارتبطت دولة الكانم والبرنو بحكم موقعها المتاخم للمغرب الأدنى مع مناطق شمال الصحراء بشبكة من الطرق التجارية منذ عصور قديمة، وبعد دخول الإسلام إلى مناطق شمال أفريقيا رأينا كيف سلك عقبة بن نافع في حملته على كاوار نفس الطرق تقريباً، ومن جهة أخرى فإن اتساع الصحراء وقلة المياه بها[17] قد حتم وجود مسالك معينة للقوافل التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد، حيث يقول الأصطخري: "وليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلاّ من وجه المغرب لصعوبة المسالك[18].

*** طرق القوافل بين طرابلس ودولة الكانم:**

لقد توفرت عدة عوامل ساعدت على نشاط حركة القوافل بين منطقة طرابلس ومنطقة بحيرة تشاد منها:

1 – إن ساحل البحر المتوسط في منطقة سرت يعرج إلى الداخل مما أسهم في تقريب المسافة بين هذه البلاد ووسط أفريقيا، خاصة إذا تمت مقارنة هذا الساحل بسواحل المغرب الأدنى أو الأقصى التي تبتعد كثيراً نحو الشمال عن أواسط أفريقيا[19]، فوقوع طرابلس على البحر من جهة وتوغل الأراضي التابعة لها نحو الداخل بحيث تلامس حدودها الجنوبية أراضي بلدان الصحراء الكبرى[20]، كان من عوامل ازدهار العلاقات التجارية بين طرابلس وبلاد الكانم والبرنو.

2- وقوع واحات فزان في موقع متوسط بين الساحل ومنطقة بحيرة تشاد مما جعلها محطات طبيعية تزود القوافل بما تحتاجه من ماء وزاد.

3 – اختلاط العناصر السكانية في المنطقتين حيث رأينا أن الكثير من القبائل التي استقرت في منطقة بحيرة تشاد قد جاءت أصولها الأولى من الشمال[21] كما أن الكثير من قبائل بحيرة تشاد قد استقرت في منطقة فزان[22]، ولاشك أن اختلاط العناصر السكانية قد أسهم في زيادة التبادل التجاري بين المنطقتين.

4 – عدم وجود حواجز طبيعية تفصل بين منطقة طرابلس ومنطقة بحيرة تشاد كالجبال العالية أو الأنهار، فالجبال الوحيدة التي تقع بين المنطقتين وهى جبال تيبستى كانت "توجد ممرات كثيرة واسعة مستوية بينها"[23].

لهذه الأسباب نشطت تجارة القوافل بين منطقة طرابلس ودولة الكانم والبرنو وتحددت طرق معروفة للقوافل التجارية يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 – طريق سرت – مرزق – زويله – كاوار[24]، وهذا الطريق يتجه من منطقة سرت ذات الموقع المتوسط بين غرب ليبيا وشرقها ويمر في خط شبه مستقيم بالمناطق التي ذكرناها حتى يصل إلى كاوار، ومن الطبيعي بحكم تداخل بلاد كاوار مع دولة الكانم والبرنو أن يستمر هذا الطريق عبر جبال تيبستى حتى يصل منطقة بحيرة تشاد[25].

2 – طريق طرابلس: الجفرة – سبها – زويله - بلما – بحيرة تشاد[26] بمروره بالكثير من المناطق مثل بنى وليد[27] وأبو نجيم وودان حتى يصل إلى سبها ثم يواصل طريقه إلى جبال تيبستي حتى يصل إلى منطقة بحيرة تشاد[28].

3 – طريق طرابلس– غدامس– غات – مرزق – تادمكه – بحيرة تشاد[29]. وهناك طريق داخلي يربط هذا الطريق بمرزق، ويتميز هذا الطريق بالربط بين دولة الكـــانم ومنـــاطق المغـــرب الأدنـــى والأوسط بحكم وقوع غدامس وغات في الجهة الغربية من تلك المناطق.

4 – طريق بنغازي – الكفرة – أبشه – واداى، وهذا الطريق يصل إلى المناطق الواقعة إلى الشرق من بحيرة تشاد، ولكن هذه المناطق كانت في كثير من الأحيان تقع ضمن نفـــوذ دولـــة الكـــانم والبرنو.

هذه أهم الطرق التي ربطت بين منطقة بحيرة تشاد وإقليم طرابلس وإن كانت هذه الطرق لم تبق ثابتة طوال القرون فبعض الدواعي السياسية كانت تدفع القوافل لتغيير مسالكها بشكل مؤقـــت ولكـــن الاتجاهات عموماً بقيت ثابتة[30] أي من الشمال إلى الجنوب وبالعكس[31].

*** طرق القوافل بين الكانم والبرنو والمغرب الأدنى.**

لقد رأينا عند حديثنا عن طرق القوافل بين طرابلس ومنطقة بحيرة تشاد أن هذه الطرق متعددة مما يدل على ازدهار العلاقات التجارية بين الطرفين وعرفنا بعض الأسباب التي أدت إلى ازدهار تجارة القوافل بين الطرفين، أما العلاقات التجارية بين الكانم والبرنو و المغرب الأوسط فلم تكـــن بـــنفس درجة الازدهار مع طرابلس وترجع عوامل ضعف هذه العلاقة إلى الموقع الجغرافي فموقع بحيـــرة تشاد كامتداد طبيعي لمنطقة طرابلس وفزان أسهم في نمو التبادل التجاري بين الطرفين وجعل سكان الواحات الليبية يتحكمون في طرق القوافل التجارية، ومن جهة أخرى فإن ظهور الأباضية وسيطرتهم على جبل نفوسة والمناطق المتاخمة له من الجنوب قد جعلهم يسيطرون على طرق القوافل مع الكانم والبرنو، وكان الأباضية يختلفون مع الدولة الحفصية مذهبياً ويخوضون ضدها صراعا فكريا ومن هنا فقد أصدر علماء المالكية في القيروان فتوى تجعل التجارة مع بلاد السودان مكسباً غير طيب[32]، وذلك بهدف إضعاف القوة الاقتصادية للأباضية التي تعتمد على تجارة القوافل مع السودان، ولكـــن هـــذا لايعني توقف تجارة القوافل بين الحفصيين ودولة الكانم والبرنو، فقد عرف طريق للقوافل يبدأ مـــن تونس ويمر بغدامس ثم غات ثم مرزق حتى يصل إلى بحيرة تشاد[33].

ومن جهة أخرى فإن الصلات التجارية بين المغرب الأدنى ومنطقة توات وسجلماسه وتمبكتو قد أوصلت منتجات إلى بلاد الكانم والبرنو عبر تلك المناطق المتاخمة لهذه الدولة من جهـــة الغـــرب، وينطبق هذا أيضاً على المغرب الأوسط والأقصى، فاتساع المساحة الجغرافية الفاصـــلة بـــين هـــذه المناطق ومنطقة بحيرة تشاد يجعل من المتعذر وجود طرق اتصال مباشرة بينهما، ولكـــن العلاقـــة

التجارية بين المغرب الأدنى والأقصى وبين السودان الغربي قد أثر بلا شك على الحياة الاقتصادية في الكانم والبرنو.

بقيت نقطة أخيرة عن أوضاع القوافل خلال سيرها عبر طرق الصحراء فأول ما نلاحظه حول هذه الأوضاع أن القوافل كانت تختار لبداية سيرها فصل الشتاء وذلك تجنباً لحرارة الصيف، وكان رجال القافلة يضعون الأحمال على الجمال في الصباح الباكر ويغدون في سيرهم إلى وقت الظهيرة حيث تتوقف القافلة للراحة ثم تواصل سيرها مع المساء إلى أن يغشاها الظلام فتتوقف للمبيت[34] ويختلف عدد جمال القافلة فقد تصل إلى بضع مئات[35]، والمؤكد هنا أن التجار كانوا يحرصون على الخروج في قوافل كبيرة خوفاً من قطاع الطرق.

ج - مراكز التجارة بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو.

لم تكن الصحراء يوماً ما فاصلاً بين بلاد المغرب ومناطق السودان، بل كانت جسراً ربط بين السكان في شمالها وجنوبها كما أن الصحراء لم تكن كما وصفها البعض بأنها "أرض الجدب والفقر، وليس فيها إلاّ مفازات جافة رملية غير صالحة للسكن في أغلب الأحيان"[36]، وكان من الطبيعي أن تجد القوافل التجارية بعض المراكز التي تستريح فيها وتتزود بالماء والزاد لمواصلة رحلتها الطويلة[37].

لقد اشتهرت بعض مدن الصحراء كمراكز اتصال بين شمالها وجنوبها وكمحطات تجارية أمتهن أهلها التجارة واستفادوا من القوافل المارة بمدنهم، وكان من الأعمال التي يقوم بها أهل هذه المدن حراسة القوافل وتأجير أو بيع الجمال للتجار[38]، كذلك عمل البعض الآخر أدلاء للقوافل التجارية حتى لاتضيع في طرق الصحراء، ومن أبرز المدن التي اشتهرت كمحطات تجارية تمر بها القوافل بين بلاد المغرب ودولة الكانم مايلى:

1 – غدامس:

تقع مدينة غدامس على مسافة 500 كم إلى الجنوب الغربي من طرابلس وتتمتع غدامس بموقع إستراتيجي جعلها مركزاً تجارياً منذ العهد الروماني[39] وفي العهد الإسلامي لعبت غدامس دوراً هاماً في تسهيل مرور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب خاصة وأنها تقع في مفترق الطرق التجارية القادمة من تونس وطرابلس، وقد تحدث المؤرخون القدامى عن هذه المدينة بما يؤكد أهميتها التجارية.

فالوزان يصفها بأنها "منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة"[40]، مؤكداً الدور التجاري للمدينة وتأثيره على اقتصادها بقوله: "سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال لأنهم

يتجرون مع بلاد السودان"[41]، أما القزويني فإنه يتحدث عن الجلود الغدامسية ويصفها بأنها من أجود أنواع الدباغ لا شي يفوقها في الجودة[42]، كذلك مما يدل على اهتمام أهل غدامس بالتجارة وجود جالية كبيرة من أهل غدامس في تمبكتو[43]، وكانت غدامس مركز تجمع للقوافل القادمة من طرابلس وتونس ثم تتفرع منها الطرق حيث يتجه بعضها إلى بلد تادمكا وغيرها من بلاد السودان[44]، حيث ارتبطــت غدامس تجارياً بمدينة تينبكت وجاوه واقدز فصارت محطة مهمة في بداية الطريــق عبــر المنطقــة الوسطى من الصحراء الكبرى إلى السودان[45] بينما يتجه بعضها الآخر ومنها إلى أغاديس ثم إلى كانم ويتجه بعضها إلى مرزق ومنها إلى بلما ثم بورنو[46]، ولم يكن دور غدامس مقتصراً على اعتبارهــا محطة لطرق القوافل بل كان أهلها تجاراً يسيرون بعض القوافل لحسابهم، وقد حدثنا ابن بطوطة عن مرافقته لقافلة كبيرة من الغدامسيين من كوكو على نهر النيجر إلى تكدا[47]، إذاً فموقع مدينة غدامس قد جعلها حلقة وصل ليس بين الساحل والسودان فقط بل لعبت دوراً في الاتصال التجاري بين المغرب الأدنى والأوسط، بالتقاء القوافل التجارية على أرضها وانطلاقها منها.

2 – غــات:

تقع غات في الجهة الغربية من إقليم طرابلس وترتبط مع الشمال بغدامس، وقد لعبت غات نفــس الدور الذي لعبته مدينة غدامس كحلقة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب بحكــم موقعهــا القريب من المغرب الأدنى والمغرب الأوسط مما جعلها من المراكز التجارية المهمة التي تلتقي فيها طرق القوافل[48]، ومن جهة أخرى فإن موقع مدينة غات في منتصف المسافة تقريباً بــين طــرابلس ومناطق بحيرة تشاد ونهر النيجر قد جعلها محطة مهمة لطرق القوافل للاستراحة والتــزود بالمــاء والزاد فإن كانت المسافة بين طرابلس وكانو تقطعها القوافل في 125 يوماً فإن المسافة بين طرابلس وغات تقطعها في 55 يوماً[49]، لقد ساعد على نجاح مهمة غات كحلقة وصل، أن قبائــل الطــوارق المنتشرين بالمنطقة قد حرصوا على سلامة القوافل التجارية لارتباط مصادر عيشهم بهــذه القوافــل، وتجارة القوافل يرتبط استمرارها بوجود الأمن في المناطق التي تمر بها.

3- زويلــه:

تقع مدينة زويله إلى الجنوب الشرقي من سبها وتبعد عنها بحوالي 170 كم[50]، وقد لعب موقــع زويله المتوسط دوراً كبيراً في ازدهار تجارة القوافل بين الشمال والجنوب، وقد عبر الأصطخرى عن هذا الدور بقوله "وأما زويله فإنها من حد المغرب وهى مدينة وسطة لها كورة عريضة وهى متاخمة لأرض السودان"[51]، ويؤكد الحموي هذا الموقع المتوسط بقوله "تقع زويله مقابل أجدابيا في البر بين بلاد السودان وأفريقيا، وهى أول حدود السودان"[52] ففي هاتين الإشارتين من المصادر القديمة ما يؤكد

أن زويله متاخمة لبلاد الكانم والبرنو مما منحها مكانة تجارية كبيرة باعتبارها أولى حلقات الاتصال بين الكانم والبرنو وشمال أفريقيا، ويعد الطريق المار من زويله إلى بلاد السودان من أقدم الطـــرق التي ربطت شمال الصحراء بجنوبها، حيث أشار اليعقوبى في فترة مبكرة إلى هذا الطريـــق الـــذي يخرج من سرت إلى ودان ثم زويله حتى يصل إلى كاوار[53].

إن ما يدل على شهرة زويله التجارية في ذلك الوقت وجود تجار من مناطق بعيدة عـــن أفريقيـــا حيث ذكر اليعقوبى أن بها أخلاطا من أهل خرسان والبصرة والكوفة[54] ولاشـــك أن ماجلـــب هـــذه العناصر إلى منطقة وسط الصحراء لم يكن سوى التجارة وبذلك أصبحت زويله مركزاً للتجار العرب، كما وجد فيها الأباضية مكاناً مناسباً للسيطرة على تجار القوافل[55] وقد اشتهرت زويله بالسيطرة على تجارة الرقيق كما اشتهرت بالتجارة في الجلود حتى اشتهرت الجلود الزويليه[56].

4- مـــرزق.

تقع مدينة مرزق إلى الجنوب الغربي من سبها وتبعد عنها بحوالي 180 كـــم[57]، وقـــد ســـاعدها موقعها المتوسط على أن تكون إحدى المحطات الرئيسة في طرق القوافل، حيث كان يمر بها الطريق الذي يبدأ من طرابلس حتى يصل إلى منطقة بحيرة تشاد، كذلك كان يمر بها فرع من الطريق الـــذي يبدأ من تونس إلى غدامس وعند وصوله إلى مدينة غات يتجه فرع منه إلى مرزق.

لقد تمتعت مرزق ببعض الاستقرار السياسي في عهد دولة أولاد محمد[58] حيث انتعـــشت الحيـــاة الاقتصادية و ازدهرت تجارة القوافل، وأصبحت مرزق مصدراً لتصدير الحبوب، كما امتلأت أسواقها بالمنسوجات الحريرية والأسلحة والزجاج والعطور، كما نشطت تجارة الرقيق، ويرى بارث (Barth) أن صلة مرزق بالسودان الغربي عن طريق غدا مس وتوات أكثر من صلتها بإقليم برنو، وقد اعتمد في هذا الرأي على وقوع مرزق في الجانب الجنوبي الغربي من إقليم فزان وارتباطها بمد ينة غـــات الواقعة قريباً من مناطق المغرب الأدنى والأوسط، ويرى الباحث أن صلة مرزق بدولة الكانم والبرنو لاتقل عن صلتها بالسودان الغربي بحكم موقعها المتوسط الذي تمر به طرق القوافل من طرابلس إلى منطقة بحيرة تشاد.

5– بلمـــا:

تعد هذه المدينة عاصمة إقليم كاوار الذي يقع بين منطقة فزان وبين منطقة بحيرة تشاد، وتعد هذه المدينة إحدى المحطات التجارية التي تمر بها طرق القوافل[59] فوقوعها على الطريق الذي يبدأ مـــن طرابلس وينتهي عند دولة الكانم قد اكسبها أهمية تجارية أدت إلى ازدهار هذه المدينة التي وصـــف

الحموى سكانها بانهم "يلبسون ثياب الصوف، وفي بلادهم أسواق ومياه جارية ونخل كثير"[60]، وقد أكد الأدريسى مرور الطرق التجارية إلى بلاد الكانم بمنطقة كاوار وذكر بعض المحطات التجارية في هذه المنطقة[61]، وقد أسهم أهل كاوار في تجارة القوافل بإنتاج سلعة مشهورة هى الشب الكاوارى الــذي يصفه الأدريسي بأنه في نهاية الجودة وهو كثير الوجود، ويتجهز به في كل سنة إلى سائر البلاد بما لايحصى كثره[62].

هذه أبرز المحطات التجارية على طرق القوافل بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو، وهنــاك بعض المحطات الثانوية التي لاتمر بها القوافل إلاّ مروراً عابراً مثل ودان وسوكنه وسبها وغيرها من المحطات الصغيرة، ولعل ما ميز المحطات الرئيسة أنها كانت أسواقاً للتبــادل والتجــارة ومراكــز لانطلاق القوافل إلى الشمال حيث بلاد المغرب أو إلى الجنوب حيث دولة الكانم والبرنو.

د - السلع وطرق التعامل التجاري بين بلاد الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو.

كان من الطبيعي تأثير البيئة الجغرافية في طبيعة السلع المتبادلة بين المغرب ودولة الكانم والبرنو فالسلع التي تسوق من منطقة بحيرة تشاد تختلف عن السلع التي تجلبها القوافل من مناطق الشمال إلى هذه المنطقة ومن هنا قسمنا السلع المتبادلة بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو إلى قسمين هما:

1- **السلع المغربية**: ونقصد بهذا المصطلح السلع التي تحملها القوافل من بلاد المغرب الأدنــى نحو دولة الكانم والبرنو سواء أكانت هذه السلع من إنتاج بلاد المغرب أم كانت مستوردة من خارج أفريقيا عن طريق البحر ومن أهم هذه السلع:

أ – الملح: يعد الملح بالنسبة للسودانيين من أهم السلع ولاتقل أهميته عن أهمية الذهب بالنــسبة للمغاربة[63]، بل يرى بعض الباحثين أن الملح كان أهم من الذهب بالنسبة للأفارقة، وربما ترجع أهمية الملح بالنسبة للسودانيين لقيمته الغذائية ونظراً لأن هذه المادة معدومة فــي الــسودان فــإنهم كــانوا يستبدلونه بوزنه ذهباً بل صار الملح في بعض الأحيان عملة شرائية حيث كــانوا يقطعونــه قطعــاً ويتبايعون به[64]، ولعل سبب ارتفاع سعر الملح في منطقة السودان الأوسط يعــود إلــى أن أغلــب مصادره تقع في بلاد المغرب الأقصى مما تعذر وصوله مباشرة إلى السودان الأوسط وزاد من سعره حتى أصبح حمل جمل من الملح يصل ثمنه إلى ما يعادل ثلاثمائة دينار[65]، كذلك اشــتهرت منطقــة تغازة كمصدر للقوافل المتجهة إلى بلاد السودان وقد وصف لنا ابن بطوطة كيفية استخراج الملح فكان "يحفر عليه في الأرض فتوجد منه ألواح متراكمة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض يحمل الجمل منه لوحين"[66].

ومن المناطق التي كان يستخرج منها الملح أيضاً كاوار وخاصة مدينة بلما[67] التي استفاد أهلها من تصدير هذه المادة الثمينة مستغلين وقوع مدينتهم على طريق القوافل المتجهة إلى بحيرة تشاد، ولكن يبدو أن الملح كان سلعة نادرة يدفع ثمنها ذهباً في بلاد السودان.

ب – **الخيول والأسلحة**: تعد الخيول من أبرز ما حرص مايات الكانم والبرنو على الحصول عليه من بلاد المغرب وذلك لحاجتهم لها في جيوشهم، ومما يؤكد اعتماد هؤلاء المايات على الخيـول أن عددها وصل في جيش دونمه دباليمى (618–657هـ / 1221–1258م) إلى مائة ألـف فـرس[68]، ويبدو أن هذه الأعداد الكبيرة قد جاء أغلبها عن طريق الشراء من بلاد المغرب لأن خيول بلاد الكانم والبرنو يؤخذ عليها صغر حجمها وبطء حركتها، وكان حكام الكانم والبرنو يفضلون مبادلة الخيـول بالرقيق بدلاً من الذهب[69]، وربما يرجع هذا إلى قلة الذهب في دولة الكانم والبرنو مقارنـة بممالـك السودان الغربي، حيث كان الحصان الجيد يساوى مابين خمسة عشر إلى عشرين عبداً.

أما الأسلحة فقد كان مايات الكانم والبرنو حريصين على امتلاك الأسـلحة الناريـة التـي كـان مصدرها الوحيد في ذلك الوقت بلاد المغرب، وقد أرسل أدريس ألوما بسفارة إلى السلطان العثماني مراد على أمل الحصول منه على الأسلحة النارية لجيشه، وقد حصل إدريس على بعض الأسلحة عن طريق تجار القوافل من طرابلس[70].

جـ - **الملابس وأدوات الزينة**: كان من بين السلع التي تستوردها بلاد الكانم والبرنو من المغرب الملابس التي كانت تصنع محلياً في بلاد المغرب أو يتم استيرادها من أوربا ويتم تصديرها إلى بلاد الكانم على هيئة أقمشة صوفية وقطنية ملونة، وكانت الملابس المجلوبة مـن تـونس علـى وجـه الخصوص محل إعجاب وقبول في دولة الكانم والبرنو، ففي عهد دونمه دباليمى كانت "الثياب تحمل إليه من الحضرة التونسية" وخاصة من مدينة سوسة[71]، وبشكل عام فإن البضائع التي يرغـب فيهـا الناس بكانم ويقدرونها هي التي تستجلب من تونس، أما أدوات الزينة فكانت تشمل الحلي، وهى عبارة عن حبات تستعمل كعقود للنساء، وكذلك العطور التي كان يعجبهم منها القرنفل والمصطكى[72]، وكذلك كان الزجاج والفخار والتحف تمثل بعض السلع التي تصل عن طريق التجارة إلى بلاد كانم.

2- **السلع السودانية**: نقصد بالسلع السودانية ما كان مصدره منطقة بحيرة تشاد أو ما يتم جلبـه من المناطق المتاخمة لها من الجنوب، ومن أبرز أنواع التجارة التي اعتمدت عليها دولة الكانم والبرنو:

أ - تجارة الرقيق: حيث هاجم مايات الكانم والبرنو المناطق المجاورة لهم من الجنوب للحصول على الرقيق، وقد وصف سكان هذه المناطق بأنهم من أكثر الناس نسلاً[73]، وكان التجار يبقون فـي

بورنو مدة قد تصل شهوراً انتظاراً للغارات التي يقوم به المايات على الجنوب لجلــب إعــداد مــن الأسرى بغرض بيعهم إلى هؤلاء التجار[74]، وقد اشتهرت زويله بأنها مركز لتجميع الرقيق ثم بــيعهم إلى مناطق الشمال حيث ذكر اليعقوبى أن التجار البربر كانوا يجلبون إلى زويله عاصمة فزان عديداً من الرقيق الأسود[75]، ولم تكن المناطق الجنوبية وحدها مصدراً للرقيق بل كانت بلاد الكــانم أحــد المصادر للرقيق، حيث اشتهرت بجواريها الحسان وفتيانها الأقوياء[76]، والمرجح أن هؤلاء الأرقــاء كانوا من غير المسلمين، حيث إن تجارة الرقيق بالنسبة لدولة الكانم والبرنو كانــت أحــد مواردهــا الاقتصادية وعوضت بهذه التجارة نقص الذهب بأراضيها مقارنة بممالك السودان الغربي التي اعتمدت على الذهب كسلعة رئيسة في المبادلات التجارية مع الشمال، ولكن مهما بلغت قيمة تجارة الرقيق فإن كانم كانت تدين برخائها إلى غلاتها الزراعية وإلى تربية الحيوانات أكثر مما يرجع إلــى مواردهــا الناتجة عن تجارة العبيد[77] بمعنى أن تجارة الرقيق لم تكن المورد الوحيد للاقتصاد في دولة الكــانم والبرنو.

وأخيراً نرى أن أسر أعداد كبيرة من البشر وإجبارهم على مغادرة بلادهم قسراً لبيعهم إلى تجار القوافل قد مثل نقطة سوداء في تاريخ دولة الكانم والبرنو، فالإسلام قد جاء ليحرر الإنــسان وحثــت تعاليمه على احترام كرامته، ولكن دافع الثراء المادي غير المشروع قد طغى على بعض مايات الكانم والبرنو وجعلهم يحترفون هذه المهنة غير الإنسانية ويكفينا دليلاً على امتهــان كرامــة الإنــسان أن الحصان المستورد من بلاد المغرب كان يصل ثمنه إلى حوالي عشرين عبداً. وهو ما يخالف تكــريم الله سبحانه وتعالى لبنى آدم حيث يقول الله تعالى:

﴿ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾[78].

ب- بالإضافة إلى الرقيق نجد مجموعة من السلع التي كانت دولة الكانم والبرنو تصدرها إلى بلاد المغرب من بينها الشب الكاوارى الذي يستعمل في أغراض الصباغة والدباغة وفي الأغراض الطبية أيضاً[79] وقد وصف هذا النوع من الشب بالجودة وكان يوجد بكثرة بحيث "يتجهز به كل سنة إلى سائر البلاد بما لا يحصى كثره"[80]، وكان يستخرج من منطقة كاوار بكميات كبيرة لــذلك عــرف بالــشب الكاوارى[81].

ج- كذلك من السلع التي كانت دولة الكانم تصدرها إلى الشمال العاج، حيث ذكر بوفيل أن التجار كانوا يقيمون في ولاته لجمع العاج من سائر أقاليم السودان ويصدرونه إلى المغرب ثم إلى أوربا[82]،

وكذلك ريش النعام الذي كان يستعمل كمراوح وأغطية للرأس وقد شهدت هذه السلعة رواجاً كبيراً في أوروبا[83].

د- وهناك أيضاً الجلود التي كانت ذات قيمة صناعية كبيرة في ذلك الوقت، حيث صنعت منه الأحذية وقرب المياه والسيور وسياط وألجمة الخيل، وكانت الجلود الخام تصدر إلى عدد من الواحات الليبية وبعد ذلك يتم دبغها وتصنيعها، وقد اشتهرت مدينة زويله بتصنيع هذه الجلود، كما عرفت الجلود الغدامسية في أنحاء المنطقة في ذلك الوقت بل وصلت شهرتها إلى أوربا، حيث كان الغدامسيون يقومون بدبغ الجلود بنقعها في الشب والملح[84]، وقد وصفها القزويني بأنها من أجود أنواع الدباغ ولاشيء يفوقها في الجودة، وكأنها ثياب الخز في النعومة والإشراق[85].

هذه أبرز السلع التي كانت دولة الكانم والبرنو تصدرها إلى بلاد المغرب مقابل ما تحصل عليه من سلع قادمة من بلاد المغرب[86]، أما طرق التعامل التجاري فقد كانت تتركز على المقايضة، وقد رأينا كيف كان الحصان الجيد المستورد من بلاد المغرب تتم مقايضته بحوالي 20 عبداً كذلك يشير البكري إلى المقايضة في قوله "يجلب من زويله الرقيق إلى ناحية أفريقيا ومبايعتهم بثياب قصار حمر"[87]، ولا يعنى هذا اقتصار المعاملة التجارية على المقايضة بل عرف الكانميون التعامل بالودع والخرز كنوع من أنواع العملة، وكان الودع يجلب من المحيط الهندي على أيدي التجار العرب ثم ينتقل إلى أواسط أفريقيا، ويذكر الوزان أن أربعمائة ودعة تعادل أوقية من الذهب[88]، وظل الودع عملة معترف بها حتى القرن التاسع عشر.

كما كان عندهم نوع من القماش عرف باسم (دندى) حيث كان ينسج عندهم على شكل أثواب ويقسم إلى قطع من ربع ذراع فأكثر، وكانت جميع الأشياء تقدر قيمتها بسعر هذا القماش[89]، بمعنى إن هذا القماش قد أستخدم كنوع من أنواع العملة في دولة الكانم والبرنو، كذلك يذكر القلقشندى إن أهل كانم قد استعملوا قطع النحاس المكسور كعملة[90]، وهكذا عرف الكانميون أغلب أنواع التعامل التجاري التي كانت سائدة في ممالك السودان، وعوضوا نقص الذهب في بلادهم بسلع أخرى تحصلوا من خلال تصديرها على ثروات كبيرة أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في تلك البلاد.

نتائج البحث..

يمكن في نهاية هذا البحث أن نستخلص النتائج التالية:

1- أن موقع دولة الكانم والبرنو المتاخم للدولة الحفصية من ناحية الجنوب قد ساهم في ازدهـــار تجارة القوافل بين الطرفين، خاصةً إذا لاحظنا عدم وجود موانع طبيعية تفصل بين الدولتين.

2- إن عملية التبادل التجاري بين الدولتين قد خضع لحاجة كل منهما لسلع الدولة الأخرى، حيث صدرت دولة الكانم والبرنو البضائع التي تنتجها أو تحصل عليها من أواسط أفريقيـــا، بينمـــا حملت القوافل التجارية البضائع التي تنتجها بلاد المغرب الأدنى أو تستوردها من أوربا لبلاد الكانم والبرنو.

3- إن الصحراء لم تكن في يوم ما حاجزاً يفصل بين المنطقتين بل عرفت هذه الصحراء طرقـــاً تجارية تنقل البضائع وتنقل معها المظاهر الحضارية التي ازدهرت في عهد الدولة الحفصية.

4- إن تجارة القوافل قد ساهمت في ازدهار المدن الواقعة على الطرق التجارية بين الدولتين مثل غدامس وغات ومرزق وبلما، حيث أصبح أهلها وسطاء تجاريين يقودون القوافل بين الدولتين.

المصادر والمراجع

1 – البكري، أبوعبدالله (ت 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، بغداد، مكتبة المثنى، 1957، ص 11.

2 - ابن حوقل، ابوالقاسم (ت 358هـ/968م)، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1992، ص24.

3 - البكري، المصدر السابق، ص 11.

4 - فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية الكانم، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، 1998 م، ص277.

5 - لقد وردت في تاريخ هيرودوت إشارات عن وجود اتصالات بين بلاد المغرب وبلاد السودان، فقد ذكر إن الجرمانتيين كانوا يصطادون الأثيوبيين من سكان الحفر أو الكهوف في مركبات صغيرة تجرها أربعة خيول، والمرجح أن هؤلاء الاثيوبين هم سكان جبال تيبستي (انظر بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي أبولقمه ومحمد عزيز، بنغازي، جامعة قار يونس، 1988، ص 47).

6 – المرجع نفسه، ص 48.

7 - فيج جى دى، تاريخ غرب أفريقيا ترجمة: السيد يوسف، القاهرة، دار المعارف، 1982، ص45.

8 - لقد أسس الفينيقيون هذه المدن كمستعمرات تجارية تقف عندها سفنهم خلال تحركاتهم في البحر المتوسط.

9 – بوفيل، المرجع السابق، ص 57.

10 – هوبكينز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 158.

11 - فيج جى دى، المرجع السابق، ص 43.

12 – بوفيل، المرجع السابق، ص 79.

13 - أمين الطيبى، أثر الإسلام الحضاري في غانه ومالي في العصر الوسيط، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية 1998، ص72.

14 - عبداللطيف البرغوثى، التاريخ الليبى القديم، بيروت، دار صادر، 1971، ص 319.

15 - فيج جى دى، المرجع السابق، ص 42.

16 – إن التجارة كانت من أبرز الوسائل التي انتقل عن طريقها الإسلام إلى مناطق مختلفة لم تصلها الجيوش الإسلامية.

17 - ابن حوقل، مرجع سابق، ص 100.

18 - إبراهيم محمد الأصطخرى، مسالك الممالك، بيروت، دار صادر، د. ت، ص 40.

19 - إن العامل الجغرافي له تأثير على العلاقات الاقتصادية فمثل هذه الوضعية الجغرافية قد أسهمت في ازدهار تجارة المغرب الأقصى والأوسط مع أوربا.

20 – لمياء محمد سالم، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز دراسات جهاد الليبيين، عدد 2، يوليو، 2001، ص 143.

21 - من أبرز هذه القبائل التي تحركت من الشمال نحو منطقة بحيرة تشاد قبائل الطوارق والتيبـو، الذين ساهموا في تأسيس دولة الكانم والبرنو، وكذلك القبائل العربية التي ساهمت في نشر الإسلام واللغة العربية في تلك المنطقة. انظر: السعدي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت 1066هـ/1655)، تاريخ السودان، نشر: هوداس، باريس، 1998، ص 26.

22 - ابن حوقل، مصدر سابق، ص 100.

23 - اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب (ت 284هـ/797م)، البلدان، بيـروت، دار إحيـاء التـراث الإسلامي، 1988، ص 103.

24 - البكرى، مصدر سابق، ص 12.

25 - توجد بهذه المنطقة العديد من الشواهد الأثرية كالأسواق والقصور، التي ترجـع إلـى العهـد الروماني، وتدل على أنها معبراً لطرق القوافل منذ القدم.

26 - سلفادور بونو، تجارة طرابلس عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات جهـاد الليبيين، العدد 1، يناير، 1981، ص 83.

27 - البكري، مصدر سابق، ص 10.

28 - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد، 1984، ص 30.

29 - لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر: أحمد الياس حسين، الطـرق التجاريـة عبـر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر ميلادي كما عرضها الجغرافيـون العـرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1977م.

30 - عزالدين عمر موسى، طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مـصر، مجلـة البحوث التاريخية، عدد 1، يناير، 1983، ص 110.

31 – البكري، مصدر سابق، ص 10.

32 – الإدريسى، أبوعبدالله محمد(ت 548هـ/1154م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزائر، 1957، 1 / ص 107.

33 - محمد زنيبر "تجارة القوافل في المغرب" تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص 182.

34 - مارمول كرجفال، أفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الرباط، مكتبة المعارف، 1984، ص 48 انظر الأمين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي " تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص 182.

35 - محمد زنيبر، مرجع سابق، ص 181.

36 - محمد سليمان أيوب "جرمة في عصر ازدهارها" ليبيا في التاريخ، بنغازي، جامعة قار يونس، 1968، ص 192.

37 - الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص80.

38 – الوزان، الحسن بن محمد(ت بعد سنة 957هـ/1550م)، وصف أفريقيا، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، 2 / 146.

39 - زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د. ت، ص 57.

40 - تمبكتو تقع على الحافة الجنوبية للصحراء، وقد تأسست في القرن الخامس الهجري، وقامت بدور كبير في مجال التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها، كما قامت بدور ثقافي كبير عن طريق جامع سينكري، وقد قال عنها السعدي (مادنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها من قط لغير الرحمن) انظر السعدي، مصدر سابق، ص 21، انظر أيضاً محمد بن أبي بكر البرتلي، فتح الشكور في تراجم علماء التكرور، تحقيق: الهادي المبروك الدالي، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 2002، ص 16.

41 - محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1975، ص 427.

42 - الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص297.

43 - الأمين عوض الله، مرجع سابق، ص 80، 81.

44 - محمد بن عبدالله بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار الشرق العربي، د.ت، 2 / 709.

45 - محي بوعزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، ندوة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص 131.

46 - المرجع نفسه، ص 132.

47 – الحضيري، مرجع سابق، ص 40.

48 – الأصطخري، مصدر سابق، ص 30.

49 – الحموي، مصدر سابق، 3 / ص 160.

50 - اليعقوبى، البلدان، ص 102.

51 - أمين الطيبى، مرجع سابق، ص 124.

52 – الحموي، مصدر سابق، 4 / ص 90.

53 – الإدريسي، مصدر سابق، 1 / 117.

54 - المصدر نفسه.

55 - الأمين عوض الله، مرجع سابق، ص 84.

56 - ابن بطوطة، مصدر سابق، 2 / 687.

57 - ابن حوقل، مصدر سابق، ص 98.

58 - ابن بطوطة، مصدر سابق، 2 / 687.

59 - ديرك لانجي، مرجع سابق، 257.

60 – الحموي، مصدر سابق، 4 / 90.

61 – الوزان، مصدر سابق، 2 / 176.

62 - فضل كلود، مرجع سابق، ص 108.

63 – محمد بن صالح القيرواني، تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، تحقيق: محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، 1970، ص 304.

64 - ابن بطوطة، مصدر سابق، 2 / 693.

65 – الإدريسي، مصدر سابق، 1 / 22.

66 – اليعقوبى، البلدان، ص 102.

67 – المصدر نفسه، ص 102.

68 - ابن بطوطة، مصدر سابق، 2 / 711.
69 - المصدر نفسة.
70 – الإدريسي، مصدر سابق، 1 / 118.
71 – ولاته: شيدت هذه المدينة في القرن الرابع الهجري، وهي اسبق في الحضارة من مدينة تمبكتو، فكانت مركز إشعاع علمي في غرب أفريقيا، وقد ارتحل إليها العلماء في عهد سني علـــي ملـــك سنغاي (البرتلي، مصدر سابق، ص 40).
72 - بوفيل، المرجع السابق، ص 105.
73 - ماريون جونسون، تجارة ريش النعام، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز دراسات جهاد الليبيين، عدد 1، يناير، 1981، ص 133.
74 – الطيبي، مرجع سابق، ص 125.
75 – القزويني، زكريا بن محمد (ت 682هـــ/1283)، آثار البلاد وأخبـــار العبـــاد، بيـــروت، دار صادر، د.ت، ص 57.
76 – ابن بطوطة، مصدر سابق، 2 / 711.
77 – البكري، مصدر سابق، ص 11.
78 – الوزان، مصدر سابق، 2 / 167 (الأوقية = 27½ جراماً)، انظر الأمين عوض الله، مرجـــع سابق، ص 94.
79 - العمري، مصدر سابق، 3 / 491.
80 – القلقشندي، أحمد بن على (ت 821هـــ/1418)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيـــروت، دار الكتب العلمية، 1987، 5 / 270.
81 - محمد سليمان أيوب "جرمة في عصر ازدهارها" ليبيا في التاريخ، بنغازي، جامعة قار يونس، 1968، ص 192.
82 - الأمين عوض الله، مرجع سابق، ص80.
83 – الوزان، مصدر سابق، 2 / 146.
84 - محمد سليمان أيوب، مرجع سابق، ص 192.
85 - الأمين عوض الله، مرجع سابق، ص80.
86 – الوزان، مصدر سابق، 2 / ص 146.
87 – عز الدين عمر موسى، طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مـــصر، مجلـــة البحوث التاريخية، عدد 1، يناير، 1983، ص 110.

88 – البكري، مصدر سابق، ص 10.

89 – الإدريسي، مصدر سابق، 1 / 107.

90 - محمد زنيبر "تجارة القوافل في المغرب" تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهايـــة القــرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص 182.